المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: الاعلام والحرب: دراسة دور الاعلام الامريكي في توجيه الحرب (حرب البلقان انموذجاً)
اسم الكاتب: م.م. سالم مطر عبد الله
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2025
تاريخ الاسترداد: 2025/05/10 05:42 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

الاعلام والحرب: دراسة دور الاعلام الامريكي في توجيه الحرب (حرب البلقان انموذجاً)

المدرس

المساعد

سالم مطر عبد الله(*)

المقدمة

لقد أصبحت الحرب دائرة إعلامية بحد ذاتها، فلا يستطيع احد الآن المحاربة دون وسائل الإعلام، عموما إذا كان الشاعر الفرنسي "مالارميه" قال إن الكتاب قد تحول إلى قنبلة في زمانه، ففي زماننا نستطيع القول إن الفضائيات والإذاعات قد تحولت إلى قنابل وصواريخ، وعليه ليس غريبا القول إن الحرب هي سياسة بوسائل أخرى، كون الإعلام سياسة بامتياز، بل قيل إن الاتصال بات من أدوات الصراع فيما بين الدول،ناقلا لعناصر القوة في الدول وعاكسا لها.

لقد خضعت الحروب منذ استيقاظ العالم على الإعلام بوسائله المتعددة على الحكمة الإعلامية، إذا أردت أن تدير مسرحا للأعمال العسكرية، فغالبا تحتاج لما يسمى في الخطط العسكرية التقليدية منها والحديثة إلى التمهيد .لنيراني، وهو الشيء ذاته الذي تحتاجه لتقود مجتمعا إلى الحرب عبر خطط الدعاية، أما اليوم فما تحتاجه لتنظيف صورتك أثناء وبعد الحرب التحكم بطوق الرقابة على الكاميرات ولجم الأقلام أثناء سير المعارك وبعدها، لترى من منظارك الحربي فقط، وتفكر كالقادة الميدانيين في جيشك، ومن ثم فان التحكم العسكري في المعلومات أثناء فترة الحرب يعد عاملا مساهما لنجاح العمليات العسكرية، سيما حينما يذهب الإعلام معه دون سؤال، ومن ثم يعلم الجيش جيدا قيمة الإعلام والتحكم به، فالمعلومات بالنسبة له هي عملية النصر، ومن المنظور العسكري فان حرب المعلومات هي جبهة أخرى للمعركة، وتحتاج في اغلب الأحيان لنوع من الخداع لضمان دعم الرأي العام، من هنا فان المؤسسة العسكرية الأمريكية تعلمت الكثير من حرب فيتنام، فهي تخطط لاستراتيجيتها الإعلامية بدرجة الاهتمام ذاتها التي تضع بها استراتيجيتها العسكرية،إذ تعمل جاهدة أن تتابع الإعلام عبر تنظيم جلسات للعاملين في وسائل الإعلام أو تقديم ملخصات صحفية يومية، أو بتوفير وصول محكم لمناطق الحرب، ومن هنا فالحقيقة أولى ضحايا

(*)كلية العلوم السياسية- جامعة الموصل.

الحروب مقولة تصدق دائما، فالقصف بالأكاذيب والإشاعات يسبق القصف بالمدافع والصواريخ، والتعتيم على أخبار القتلى والجرحى والخسائر يبدو أكثر أهمية من تحصين المدن وتامين البشر، سيما في عصر الفضائيات والسماوات المفتوحة التي جعلت الحرب النفسية الجانب الأشد خطرا في الحروب المعاصرة.

أدركت الولايات المتحدة الأمريكية أهمية قطاع الإعلام والاتصال للسيطرة على (مجتمع الإعلام) منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وتع ه مجا(ستراتيجيا للحفاظ على نفوذها في العالم. حيث ا اد اهتمام الطبقات الحاكمة والمسيطرة في تلك الدولة بالإعلام ووسائله، أيضا في الفترة التي سميت بالمكارثية حيث استفادت من نظريات العالم الألماني (رايش) في علم النفس الاجتماعي، ووظفت تلك النظريات في خدمة استراتيجيتها بغرض هيمنتها وسيطرتها على دول العالم الأخرى، وذلك باستخدام وسائل الإعلام المختلفة في عملية أطلق عليها بـ(الأدلجة) أو غسل الدماغ الجماعي، والتي طبقتها بنجاح على الشعب الياباني ذي الجذور الشرقية القوية.

إن الولايات المتحدة اليوم في بداية بناء إمبراطوريتها (الأنكلو – ساكسونية) الجديدة عالمها الجديد تحاول أيضا فرض أفكارها ونموذجها الاجتماعي والأخلاقي بواسطة وسائل الإعلام في عصر العولمة وعصر الاتصالات والإعلام.

إنها في الوقت الذي تزيد من التخصيصات المالية لوزارة الحرب الأمريكية (البنتاغون) وفي عملها لتوسيع حلف الأطلسي الذي فقد مبرر وجوده القانوني والشرعي بانهيار الاتحاد السوفيتي السابق وحل حلف وارسو. مع عملها لزيادة تسلحها تسعى وتعمل لجعل العالم الآخر (خارج الولايات المتحدة) عالم(ليس منزوع السلاح حسب، بل منزوع الفكر والإرادة، إنها تعمل من أجل أن يكون الآخر، بواسطة وسائل إعلامها، ليس أكثر من (روبوت بشري).

 استعرضنا دور الإعلام في الحرب يتم تنفيذها على مستويين: مستوى جبهة القتال على أرض المعركة، والمستوى الثاني كسب عقول المستقبلين وقلوبهم من خلال الدعاية والحرب النفسية والإعلان، ففي الحرب العالمية الثانية كان للمذياع دور فاعل كوسيلة دعائية وفي حرب فيتنام كانت تجسيد مهما لدور التلفاز، أما حرب الخليج الثانية فقد تزامنت مع بداية بث القنوات الفضائية التي تمثلت في شبكة سي **CNN** الإخبارية ثم جاءت حرب البلقان لتؤدي الدور المؤثر للإعلام في الحرب سيما ان هذه الحرب كانت غربية خالصة ووسائل الإعلام التي تغطيها هي من ذات المنشأ والتوجه بعده جاءت حرب الولايات المتحدة الأمريكية ومن تحالف معها من الغرب والشرق على أفغانستان لتصنع الشهرة الدولية

لقناة الجزيرة، ثم تلتها الحرب على العراق واحتلاله والتي مثلت تعميقا لدور القنوات الفضائية والإنترنت ومحاولة توظيفهما التوظيف الأمثل.

وتوظيف الإعلام في الحروب يتمثل في جزء منه في (الدعاية) التي تستطيع أن تحشد الرأي العام حول قضية بعينها من خلال المبالغة والتضليل والكذب في أسلوب عرض القضية وذلك لكسب التأييد والدعم، ومن يقدم الصورة السلبية للعدو يؤكد ذلك بعرض كل ما يبرز الصورة الإيجابية لنفسه من خلال محاولة حشد التأييد وتغذية الاعتقاد بأن ما ينوي عمله هو في فائدة كل البشر ومصلحتهم.

وتطور أسلوب الدعاية في الحروب عبر التاريخ وكما يذكر ناعوم تشومسكي في كتابه (السيطرة على الإعلام) أن أول عملية دعائية حكومية في العصر الحديث كانت أثناء إدارة الرئيس الامريكي وودر ويلسون الذي انتخب رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية عام م وفق برنامج انتخابي بعنوان (سلام بدون نصر) وكان ذلك في منتصف الحرب العالمية الأولى، وفي تلك الأثناء كان المواطنون مسالمين لأقصى درجة ولم يبد سببا للتورط في حرب أوروبية بينما كان على إدارة ويلسون التزامات تجاه الحرب، ومن ثم كان عليها فعل شيء ما حيال هذا الأمر فقامت الإدارة بإنشاء لجنة للدعاية الحكومية أطلق عليها (لجنة كريل) وقد نجحت هذه اللجنة خلال ستة أشهر في تحويل المواطنين المسالمين إلى مواطنين تتملكهم الهستيريا والتعطش للحرب والرغبة في تدمير كل ما هو ألماني وخوض الحرب وإنقاذ العالم!! وكان هذا إنجازا هائلا، قاد بدوره إلى إنجاز آخر بعد ذلك في توظيف الخطط ذاتها لإثارة هستيريا ضد الرعب الشيوعي.. الأمر يتكرر فيما نشاهده الآن ضد كل ما هو إسلامي – رغم ادعائهم بأنها حرب ضد الإرهاب –!! فمنذ أحداث) أيلول / سبتمبر عام والسعار الأمريكي تجسد كما يرى الدارسون في مستوى داخلي تمثل في تجديد الروح القومية وبث الوحدة من خلال الشعور بالخطر القادم والتهديد الكبير للأمن ولحياة الأمريكية، وخارجيا تمثل في تصميم الإدارة على تحقيق الحلم الإمبراطوري!! والهيمنة على العالم!! وفي الشرق الأوسط إعادة تشكيل المنطقة استراتيجيا بما يضعف الدول العربية أكثر ويساعد على حماية المصالح الأمريكية والإسرائيلية. واحتلال العراق سبقه تهيئة وحشد للرأي العام الأمريكي وتم تجنيد عدد من الباحثين والكتاب والمؤسسات الإعلامية المؤيدة لها وتوزعوا على مختلف المنابر الإعلامية يسوغون ويؤيدون غزو العراق.

وما يذهل أن عددا من الكتاب العرب يسيرون في التيار ذاته ويرددون ما تبثه أبواق الحملة الإعلامية والدعائية لتبرير احتلال العراق وتبرير قتل المدنيين والجرحى حتى وهم في المسا !! وكما دأب الإعلام الأمريكي على تأكيد أن القوات الأمريكية قادمة من أجل استبدال النظام وإحلال الديموقراطية ومغادرة العراق.. إلا أن واقع الحال يثبت أن العراق

يعيش في حالة من الفوضى والتدمير والقتل. والقتلى من الأمريكيين يتضاعف عما قتل في غزوهم لأفغانستان والجرحى والمعوقون بالآلاف في مستشفيات ألمانيا وعديد من دول أوروبا.. ناهيك عن ما لآف من العراقيين تم قتلهم بفعل قوات الاحتلال ومن صنعتهم وكالة الاستخبارات الـ CIA .

ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على ما يمكـ أن تؤديه وسائل الأعلام الأمريكية من ادوار أثناء الحروب وما هي الوسائل المستخدمة سواء البشرية أم التكنولوجية فضلا عن بيان الجهات ذات العلاقة بإدارة الحرب الإعلامية وسنركز على الأدوار التي لعبتها هذه الوسائل والجهات خلال حرب البلقان .

أولا: علاقة وسائل الإعلام بالحرب

ن استخدام وسائل الإعلام في زمن الحرب يختلف عنه كليا في زمن السلم، فالطاقة الكبيرة التي تختزنها وسائل الإعلام في زمن الحرب ليست بالقوة ذاتها بالاتجاه ذاته كما في زمن السلم. من ثم فان الدور الذي تلعبه أيام الحرب لا يمكن يقارن بأي ظرف آخر. لذلك فان الأبحاث والنظريات كلها التي سادت بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية والتي تحدثت عن استخدام قوة الإعلام من اجل نشر السلام قد تلاشت. بل إن الذي حدث. هو الاستخدام المتزايد لهذه الوسائل في زمن الحروب.

وسائل الإعلام تستمد جزءا من قوتها في الحروب من الظروف التي توجدها الصراعات هي تستمدها من حركية الحرب التي تختلف عن حركية السلم، ومن ثم فان دور وسائل الإعلام وقدراتها تختلف بين الحرب والسلم كذلك فان متابعة الناس لها وما تنتظره منها تختلف أيضا، وإن التحديات التي تحملها الحروب والمخاطر الكبيرة التي يشعر بها الناس على حياتهم وأرزاقهم ومصيرهم تجعل انتظاراتهم مختلفة وتقبلهم للأمور مختلفا هم في أيام الحرب مضطربون، قلقون، يبحثون عن ثوابت تطمئنهم الكلمات تتحول إلى أسلحة خطاب القائد يصبح مقدسا، التعليمات تصبح أوامرا لا يجادل فيها، الخطاب المنطقي يتراجع لمصلحة خطاب يتلمس عناصر التأثير المختلفة ونلاحظ في مثل هذه الظروف توجه المجتمعات نحو العنف والتماس الخطاب المتطرف، ويصبح الخطاب المعتدل مرفوضا مخونا.

العلاقة بين وسائل الإعلام والحرب علاقة وثيقة، ففي كل الحروب كان دائما يتم اعتبار وسائل الإعلام واحدة من الأسلحة الرئيسة المستخدمة السلطات العسكرية والسياسية كانت تسعى دائما إلى استخدام وسائل الإعلام في المعركة، بوصف دورها رئيسا وقد يوازي السلاح العسكري ويتكامل معه.

من الباحثين عن دور وسائل الإعلام خلال الحروب هارولد لاسويل، الذي أصدر كتابا عا بعنوان " تقنية الدعاية في الحرب العالمية ". وقد تحدث عن الدعاية على إنها الرأي العام ووسيلة ضغط على الحكومات . بعد ذلك بعام كتب ادوار برنيز، " فهمنا الآليات والدوافع المحركة لروحية الجماعة يسهل تحريك الجماهير في الاتجاه الذي نريده ومن دون . تعي الأمر. . التلاعب الواعي والذكي بعادات الجماهير وآرائها عنصر أساسي في المجتمعات الديموقراطية. من يدير هذه الدعاية يصبح في مثابة حكومة ظل. . هذا دور النخب في استخدام الدعاية بشكل دائم" [1].

كما كتب هتلر في كتابه كفاحي: " " دور حاجز النار الذي تنفذه المدفعية ستقوم به في المستقبل الدعاية الثورية. انه يقوم على التحطيم المعنوي للخصم قبل . تبدأ الجيوش بعملها" [2]. هذه الاستشهادات نذكرها على سبيل المثال عن الدور الذي برز لوسائل الإعلام في تلك المرحلة.

وأظهرت الدراسات المتلاحقة كيف استخدمت وسائل الإعلام أساليـ الدعاية المختلفة للسيطرة على العقول هذه الأساليب سيصبح اسمها الحرب النفسية، كتحريك الغرائز والتعليب الفكري وزرع الخوف وخلق ردات فعل محددة وغيرها. واستمرت الحال في الخمسينات مع حركات التحرر الوطنية و"حروب الأنصار" التي عدت تحريك الفرد وتوجيهه أساس الانتصار. ثم مع الحرب الباردة التي شهدت حربا سياسية بين المعسكري " عبر وسائل الإعلام على امتداد الكرة الأرضية . وقد بات من قواعد الحروب الحديثة . التحكم في وسائل الإعلام هو ضرورة من اجل تحقيق النصر. ففي حرب فيتنام كان آلاف المراسلين ينقلون من ارض المعركة الصور بحرية تامة، وقد بقي منها الكثير في الأذهان كالطفلة الفيتنامية التي تحترق بالنابالم، والجنود الأمريكيين المقطعي الأوصال، حين قرر الإعلام حسم الحرب في فيتنام، بدأ ببث الصور التي تظهر فظاعة الاحتلال الأمريكي لذلك البلد، وتهافت الإعلام الأمريكي على نشر صور الضحايا هناك لتهيئة الرأي العام الأمريكي للهروب الكبير، وكأن عشر سنوات من الاحتلال لم تكن كافية لتحرك آلة الإعلام الأمريكية حتى يخسر الشعب الأمريكي ما يقارب . ألف ضحية هناك، وأضعاف مضاعفة من أمثالها من الشعب الفيتنامي .

---

[1] نقلا عن صادق الأسود، الرأي العام ظاهرة اجتماعية وقوة سياسية، بغداد، ١٩٩١ ، ص٧٢.
[2] المصدر السابق، ص٧٤.
[3] عبد الحميد حجازي، الرأي العام والإعلام والحرب النفسية،(بلا)، القاهرة، ١٩٨٧ ، ٥٧.
[4] أديب خضور، الإعلام والأزمات، مطابع أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ١٩٩٩، ص ٣٢.
[5] المصدر السابق،ص ٣٣.

وكان الانتقال مع حرب المالوين عام إلى حرب اللاصورة، وصولا إلى حرب الخليج الثانية تمت كودرة الصحفي وتحديد ما يمكنه يصور يتم تزويده بأخبار ترويجية عن حجم تسلح الخصم خسائره سواء للتأثير فيه في الرأي العام المحلي العالمي، والى الصومال حيث أخر المارينز إنزالهم ساعة في انتظار وصول محطة " السي ان ان CNN " " وصولا إلى الشيشان حيث لا حرب في غياب " صحفي لينقلها" ومن ثم إلى حرب البلقان التي شهدت استخدام وسائل وأدوات لأول مرة وهذا ما سنوضحه لاحقا. هذا العرض السريع عن استخدام وسائل الإعلام في الحروب، يدل على . هذه الوسائل تفقد في مثل هذه الظروف دورها الأساسي المتمثل بنقل الوقائع وتزويد الجمهور بالحقائق الضرورية له لتكوين رأي وموقف وهنا تغيرت مهمة الوسيلة الإعلامية تغييرا جذريا. إذ أصبح هناك تناقضا تاما بين الدور الإعلامي والدور الدعائي فالأول يحرر الإنسان أما الثاني فيستعبده[6].

وخلاصة القول إن الإعلام يطيل أمد الحروب ويقصرها، فهو يطيلها فعليا من خلال الصمت على فظاعاتها وخسائر المدنيين، ولذا تحرص الولايات المتحدة الأمريكية على عدم بث أي صور للضحايا المدنيين، وشددت دائما على إطلاق صفة الحرب النظيفة على حروبها، لكن من المعر كل الحروب قذرة، وتوقع ضحايا ودمار وخراب وقتل وجراح .

يفترض في الإعلام أن يبقي على مسافة واحدة بين آراء الفرقاء المتعارضة والمتناقضة، لكنه في واقع الحروب والخلافات السياسية عادة ما يقف مع الطرف الأقوى ضد الطرف الأضعف، وهو ما يترتب عليه أولا التخلي عن أخلاقيات المهنة الصحفية، وثانيا إطالة أمد الحرب عبر الوهم الذي يزرعه لدى الجهة المقاتلة في انتصاراتها، وإخفاء عيوبها ومثالبها أمام شعبها، ومن ثم تنفجر التناقضات متأخرة، كما حصل في الحرب الفيتنامية،وحرب البلقان ويجري الآن في حربي أفغانستان والعراق، رأينا جميعا دور وسائل الإعلام الغربية في قرع طبول الحرب على العراق وأفغانستان، في حين كانت الشعوب أكثر وعيا حين خرجت بالملايين إلى الشوارع تطالب بالكف عنها.

لا نعلم بعد سنوات كيف سيسجل التاريخ دور الإعلام في تغطية الحربين الأفغانية والعراقية ، وهل كان محايدا أم منحازا ؟ وهل عكس كل مواقف الأطراف ؟ أم أنه غيب طرف المقاتلين والمسلحين بشكل كبير؟ وهو ما يعني إخفاء الحقيقة عن الشعوب الغربية لتفاجأ بواقع قد يكون مرا وعلقما.

---

[6] **فيليب تايلور، قصف العقول: الدعاية الحربية من العالم القديم إلى العالم النووي، ترجمة سامي خشبة، مطابع الوطن، الكويت، ٢٠٠٠، ص ٢١.**

[7] **محمد عبدالرحمن، كيف تؤثر وسائل الإعلام، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٤، ص ٥٨.**

ثانيا: التعاون الاستراتيجي الإعلامي – الاستخباراتي

إن الاستراتيجية الأمريكية في البلقان وفي أوراسيا، هي حلقة أساسية في سلسلة (ستراتيجية الأمن القومي) المعبر عنها من قبل وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون)، وهي مرتبطة على نحو وثيق بحرب الإعلام (ذلك الشعاع الموجه الحديث للحرب النفسية والتخريب التقليدي). فالولايات المتحدة هي أكثر تقدما من الأوربيين، في هذا المجال، وهي لا تبالغ إذا قالت حد أسرار قوتها الأعظم تكمن في السيطرة على الإعلام، فالسيطرة على الوعي، ومن ثم على (إسنادات) (القوى المحركة للتاريخ). وطبقا للأميرال بيير لاكوست (PIERRE LACOSTE)، الرئيس السابق للـ"الإدارة العامة للأمن الخارجي" (DGSE) (ن الولايات المتحدة قد جعلت من حرب الإعلام، أحد العناصر الأساسية في المواضيع العسكرية وقام بدور مهم في النظرية الستراتيجية الجديدة في نهاية القرن العشرين)[8].

إن حرب الإعلام لدى الولايات المتحدة الأمريكية ليست محصورة بدوائر الإعلام فحسب بل إنها استخدمت فاعلين آخرين عامة وخاصة، مثل الأداة الحكومية، الدبلوماسية، الأديان والمصالح الخاصة، القوى الصناعية والمالية"[9].

لقد ترجم كل ذلك بالتعبير الأمريكي عن حرب الإعلام، تحت عبارة (تكنولوجيا الإعلام)). (حرب إعلامية) أو ما يسمى بـ (توجيه الحرب) (CYBERWER) (الكترونية وإعلام) (حرب نفسية)، هذا ما يوضحه لوران موراوبيك (LAURENT MURAWIEC) (مدير إدارة الجغرافيا السياسية) .[10]

لقد فهم الأمريكيون، منذ زمن بعيد، ن عمليات الحرب النفسية التقليدية، تؤدي إلى ن يفقد سكان الخصم حس التوجه، والتمكن من أن يصبح هذا الحس المفقود مبنيا أيضا في التكنولوجيات الجديدة لقياس المهمات المباشرة وفي الحرب الالكترونية والإعلامية (CYBERWAR) أيضا، توجد في الولايات المتحدة، منذ عدة سنوات (جامعة الدفاع الوطني) التي تمنح شهادة الدبلوم (محاربين في الإعلام) ويتم تدريس طرق متعددة الاختصاص فيها، ومجهزة تجهيزا لأبعد الحدود، وتستهدف زرع حقائق كاذبة وإدخال حركات خداعية نفسية – ثقافية، وسياسات تذهب تجاه (المصالح القومية الأمريكية).

في الحقيقة، ليست العمليات النفسية في الولايات المتحدة وكذلك الحرب الإعلامية، أدوات من بين الأدوات الأخرى فقط، بل لها أهمية أكثر من العمليات العسكرية التقليدية، لأنها تبنى، وتتقدم عليهما باختصار، فإن العمليات النفسية، تقر من قبل البيت الأبيض من ثم

---

[8] **بيير لاكوست، حادث الخميس، جريدة الواشنطن بوست، ٦ كانون الثاني ١٩٩٥.**
[9] **المصدر السابق .**
[10] **لوران موراوبيك، حرب الإعلام ، أعمال ندوة الديمقراطيات، برشلونة، ١٩٩٧ ، ص ٢١ .**

تصمم وتدار من قبل مكتب مركزي للاستعلامات وإدارة العمليات النفسية التابع لوزارة الدفاع وكالة الأمن القومي، وكالة المخابرات المركزية، وزارة الخارجية، كذلك، وكالة الإعلام الأمريكية مع جميع تفرعاتها "روابط أقمار اصطناعية دولية، محطات راديو وتلفاز" ، فالحرب الإعلامية، حرب هجومية بمقدار ما هي دفاعية، "الجيوش الأمريكية تمتلك اليوم خلايا متخصصة في (علم الحروب)، ويتعلق الأمر، بمركز الإعلام بالحرب الجوية، يتمركز في القاعدة الجوية في كيلي (KELLY) في تكساس، السرية ( ). للحرب الإعلامية، التابعة لجيش الجو الأمريكي، من المجموعة الرابعة للعمليات النفسية للجيش الجوي المتمركز في (FORT BRAGG)، في كارولاين الشمالية وكذلك مركز حرب الإعلام التابع للبحرية (FIWC)، أو أيضا قيادة توجيه الحرب (CYBERGUERRE) بين الجيوش الموحدة (JSIWC) في نورفولك وفي فرجينيا .

ولقد كشف مراقبون عديدون الدور النشيط لخلايا وكالة المخابرات المركزية والبنتاغون في حرب الخليج الثانية، وكذلك في يوغوسلافيا السابقة، المكلفة بالقيام بعمليات (الحرب الإعلامية) مثل (EAGLE) المتخصصة في نشر صور (منقحة) (معالجة من جديد)، مثل الطائرة الخاصة (COMMANDO SOLO)(التي تكلف ببث برامج محطات الراديو القرصانية، كذلك الشركات الخاصة المتعلقة بـ (العلاقات العامة) (RUDER FINN)، حيث تكون المهمة تكدير صور الخصوم، ورفع شأن الأطراف الأخرى المتواجدة، وتذهب أحيانا، حتى إلى العمل على وضع الجرائم المرتكبة من قبل الأصدقاء على ظلم الأعداء، وإثبات ذلك باختيار وتركيب مشاهد مصورة (MONTAGES)[11] .

تشكل وسائل الإعلام الأمريكية أحد الحلقات الأساسية في ستراتيجية الهيمنة (المتكاملة) للولايات المتحدة، بالاستفادة من حرية التعبير الضخمة التي تتمتع بها بعض الصحافة الأخرى في العالم مما يجعلها أكثر قابلية للتأثير على نحو طبيعي بأنواع من التعاون مع أوساط الاستخبارات تعاون، يكون أحيانا تلقائيا، وأخرى بنيويا، وقد اعترف جون دوتش مدير وكالة المخابرات المركزية عام ( )، بأنه (استخدم) صحافيين رسميا كجواسيس، لأنه من الناحية الأساسية، فإن وكالات الصحافة الأنجلو–ساكسونية هي المعنية الأولى، كمصادر أصلية للإعلام الإعلامي[12] .

من المعروف على سبيل المثال، أن أكثر من ( ) صحافي تابع لوكالات الإعلام الأمريكية، وهي (وكالة الصحافة AP ووكالة الصحافة المتحدة UPI NBC)، حتى)

---

[11] المصدر السابق ، ٢١ .
[12] المصدر نفسه.
[13] المخابرات الأمريكية: شبكة تؤسس شبكات، ١٩٩٧ ، نقلا عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) . www.securitypeace.org
[14] ميشيل بونيون، التصدي لأمريكا الشمولية، فافر،١٩٩٧، ص١٥٢.

بعض وكالات الصحافة الأجنبية تعمل بصورة سرية لوكالة المخابرات المركزية (CIA)، وكذلك الأمر لعدد من الصحف الكبيرة، مثل النيويورك تايمز، أو واشنطن بوست مرورا بالنيوزويك، على نحو مواز، ليس من النادر مشاهدة الجنرالات القدامى في الجيش أو الدوائر الخاصة، المسمين على رأس سلسلة من محطات التلفاز في الولايات المتحدة مثل (WORLDNET) (TV (MTV (CNN) ROCK) ...الخ، أو محطات الراديو، مثل: (سوا) والراديو الحر في أمريكا، وراديو ليبرتي،... الخ) ويوزع سوا ، على سبيل المثال، برامجه الإذاعية مجانا، والمسجلة على أشرطة على آلاف محطات الراديو في العالم، في الوقت ذاته ، يذاع العديد من النشرات الإعلامية، في حين تخصص وكالة الأنباء الأمريكية U.S INFORMATION AGENCY (U S I) ، ملايين الدولارات للعمليات النفسية–الإعلامية، أما ما يتعلق بـ (CNN)، من المعلوم أن هذه المحطة التلفازية الأمريكية الدولية، تستخدم عسكريين من ذوي الاختصاصات في العمليات النفسية. إذ عمل ويعمل منذ حرب الخليج الثانية ويوغوسلافيا السابقة، أشخاص من المختصين في العمليات النفسية" وهم ضباط يعملون في مراكز الـ (CNN) ي اطلنطا في نطاق برامج "التدرب مع الصناعة"، كمستخدمين نظاميين في الـ (CNN) ، هذا ما صرح به الماجور توماس كولان من إدارة المعلومات في الجيش الأمريكي:(حيث ساهموا في الإنتاج الإعلامي أثناء حرب كوسوفو" [15]، في الواقع، لقد ازداد تواجد الشخصية العسكرية بانتظام، في الـ (CNN)، وهم يرجعون إلى المجموعة الرابعة للعمليات النفسية المتمركزة في (FORT BRAGG) ويتمثل النشاط الرئيس لهذه الخلية، بنشر معلومات منتقاة).

ويسمح المجتمع الأمريكي، وبأكبر قدر من التنسيق بين المجالات الإعلامية والستراتيجية والاقتصادية والجامعية والسياسية، على أيدي العسكريين الأمريكيين، وهذا يعطي لفعالية الاستخبارات أكثر فائدة، والعسكريون الأمريكيون ليسوا كل شيء، بل هم في كل شيء .

وهذه الحقيقة، ليست أمرا شائنا، بحد ذاته، مطلقا، وهذا يظهر تماما، أن وسائل الإعلام لم تكن مستقلة مطلقا بالكامل عن السلطة، حتى في الديموقراطيات الحقة. ومن المعروف، . موضوع الرابط الوثيق بين وسائل الإعلام والتجسس يبقى مدهشا، وبأن حوالي عشرين ألف شخص يستخدمون من قبل الـ (CIA) ، وثلث هؤلاء يكلف بالإعلام رسميا[16] .

لا تتعلق ظاهرة سيطرة الإعلام الإعلامي عن طريق هيئات السلطة بالولايات المتحدة وحسب، بل يمكن إدراك هذه الظاهرة في جميع (الديموقراطيات الغربية) لاسيما تلك الدول التي استحوذت جزئيا على تدخلات منظمة حلف شمالي الأطلسي، في العراق،

---

[15] المصدر السابق، ص١٥٥.
[16] المخابرات الأمريكية: شبكة تؤسس شبكات، مصدر سبق ذكره.

وفي البوسنة، وفي كوسوفو كذلك اشتهرت ألمانيا، الحليف المخلص للأمريكيين في منظمة حلف شمالي الأطلسي، وكذلك بريطانيا، أثناء حرب كوسوفو وذلك بسبب حركيتها المعروفة في مجال (الدعاية الحربية). إذ كان الإنجليزي جامي شيا (JAMIE SHEA)، الناطق الرسمي في منظمة حلف شمالي الأطلسي، والمكلف من قبل رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، بإعادة تنظيم جميع الاتصالات في المنظمة بهدف جعل التدخل المسلح يبدو مشروعا، سيما تمويه (الآثار) الناتجة عن العدوان، و (الخراب اللاحق)، نتيجة قصف حلف شمالي الأطلسي، وذلك في محاولة لابتزاز بعض الصحافة الغربية والدولية التي تذهب أحيانا لدرجة تعنيف بعض الصحافيين والعاملين في وكالات الأنباء الصحافية، في حال نشرها بعض المعلومات التي لا تتوافق مع خطة الحلف في دعايتها، والتي يمكن أن تؤدي خدمة للسلطة اليوغوسلافية بزعامة (ميلوسوفيتش). وما هو أوضح من ذلك، أن الحكومة البريطانية نفسها، كانت تضغط على وسائل الإعلام الوطنية، سيما الـ (BBC)، على مدى حرب كوسوفو. وهنا أيضا، فقد ذهب الناطق الرسمي للحكومة البريطانية، ألستر كامبل ALASTAIR CAMPBIELL إلى الدعوة لفرض ضرائب على المراسل الخاص التابع لـ (BBC) في بلغراد، المدعو جون سيمبسون (JOHN SIMPSON) ، بتاريخ (.) نيسان ( ) بحجة مسايرته للدعاية الصربية، كونه قد وجه أسئلة للصربيين في الشوارع، وبأنه اعتقد أن القصف الجوي الأول تسبب في أن يلتف السكان حول ميلوسوفيتش، وسمح "دون اتخاذ موقف" ن حلف شمالي الأطلسي استطاع أن يدمر قطارا مدنيا ورتلين من اللاجئين. والأفضل، أن يوجه روبن كوك، وزير خارجية بريطانيا، الاتهام علنا لسمسون، كونه متواطئا مع ميلوسوفيتش. وهذا، ليس من واجب الناطق الرسمي للحكومة أن يقرر ما يتوجب أن ينشر من أعمال، وردَّ رتشارد سامبروك RICHARD SAMBROOK رئيس قسم الإعلام في (BBC-TV) على ذلك بسخط . وانتقد مراسل الـ (RAI) الإيطالية إنيو رموندينو (ENNIO REMONDNO)، بعنف، القصف الجوي لاسيما قصف محطات الراديو والتلفاز الصربية، حيث كان هو نفسه ضحية إعدام تعسفي إعلامي، وعامله زملاؤه على أنه (عميل لميلو سوفيتش)، وفي فرنسا، كان عالم الصحافة ريجي دويربه REGIS DEBRAY، هدفا لحملة حقيقية وعملية (شيطنة اعلامية)[*] ضده والتجريد من الأهلية، عندما عاد من إقامة له في صربيا، وهناك آخرون من رجال الصحافة عوملوا على أنهم عملاء لميلوسوفيتش.

---

[17] **فيليب كوهين، هل ستشرع الولايات المتحدة بشراء العالم باجمعه، نقلا عن شبكة المعلومات العالمية(الانترنت)، www.americanprogress.org**

[*] **الشيطنة الإعلامية: مصطلح إعلامي المقصود به تحويل الشخص إلى شرير ونزع الصفة الإنسانية عنه.**

كما كان لفريق من وكالة المخابرات المركزيه الأمريكية (CIA) من المختصين في الحرب الإعلامية– المصنفين تحت اسم (الصقر–)، مهمة أثناء حرب البوسنة، وضع شروط الإعلام ومعالجة الصحافيين نحو شيطنة المعسكر الصربي، وتعزيز الصورة الملائمة آنذاك لـ(ضحايا) من البوسنيين المسلحين(وقدر بعض الخبراء أن عدد من تأثر بآراء خلية الصقر من الصحافيين العاملين في الصحافة الدولية لا يقل عن الألف(فهذه الخلية كانت تشتري الصور بصورة منهجية وكذلك التقارير غير "الملائمة" لوجهة النظر الأمريكية، ثم "تسحبها من سوق الصحافة"، وبالمقابل تضمن مجموعة المختصين (الصقر) بعناية، اختيار الصور "صحيفة، أو صور فيديو"، وتنفيذ أعمال (رتوش) على بعض الصور السلبية لزيادة (الأثر العاطفي الحاسم)[18] .

تلقى بعض الصحفيين الذين تساهلوا أثمانا كمكافآت لانقيادهم وخضوعهم لـ (جماعة الصقر) وكانت هذه الخلية في الأصل، تشكل غطاء إعلاميا موسعا لأعمال العنف، التي يقوم بها البوسنيون، كما حد (في انفجار سوق ماركاليه (MARKALE)(إذ نشرت صور الأقمار الصناعية المزيفة، القادرة على إيجاد ركام من الجثث على أرض ملعب كرة قدم في (SREBRENICA)) والملعب موجود فعلا(، لكن لم يعثر أحد فيه مطلقا(على ركام الجثث، في الواقع، كان اختيار ذلك الملعب مريبا(، لأنه أثار الحقبة الأشد سواد(في تاريخ القرن العشرين، للكثيرين، لكن، تشكل الهدف الحقيقي الذي يتم البحث عنه في ذلك الصيف من عام ( ) ، جذب الانتباه العام وإبعاده عن الهجرة الجماعية لمئات آلالاف الصربيين الذين طردوا أو ذبحوا من كرواتيا في كراجينا (KRAJINA)(وجرى التحقق من ذلك، من قبل المدير السابق لمحطة التلفاز الفرنسية القناة الثانية، جاك مرلينو (JACQUES MERLINO) ، في المكان ذاته، وهو مؤلف كتاب عدو للتقاليد(جميع الحقائق اليوغوسلافية ليست جيدة على القول[19] .

وتمتلك الأجهزة الأمريكية، وكذلك التابعة لحلف شمالي الأطلسي إلى جانب مجموعة الصقر(EAGLE)، نماذج أخرى من (الأسلحة الإعلامية)، تعمل مباشرة، ويبدو أنها خرجت من رواية أو ليل ORWELL عام ( ) بعنوان (مفرزة مغاوير سولو). فهذه الطائرة هيركول (130 HERCULE) الأمريكية ، مجهزة من قبل البنتاغون بهوائيات وحيدة الاتجاه، وتحتوي في مخزنها على دارات راديو– تلفاز، تسمح لها من بث برامج مسجلة حالا، على ارتفاع عال. ويبث العاملون الذين يطيرون على ظهر تلك الطائرة، على منطقة مستهدفة رسائل مصممة من قبل البنتاغون وإدارة العمليات النفسية المتمركزة في

---

[18] **المخابرات الأمريكية: شبكة تؤسس شبكات، مصدر سبق ذكره.**
[19] **بيير لاكوست، حادث الخميس، مصدر سبق ذكره.**

(FORT BRAGG) (المركز المشهور في مجال العمليات النفسية لحرب الإعلام) ، ويقوم على خدمته مختصون في الحرب الإلكترونية.

وقد استخدم من قبل الولايات المتحدة من قبل، في سماء السعودية وتركيا أثناء حرب الخليج الثانية . ويمكن لـ (COMMANDO SOLO) بث وتوزيع الأخبار التلفازية والإذاعية(على موجات قصيرة وطويلة، على مساحات تبلغ عدة مئات الكيلومترات[20] .

وقد بثت الطائرة راديو، رسائل قرصانية باتجاه المشاهدين الخاصين لتلفزيون صربو – بوسنك (SRT)(في جمهورية الصرب في البوسنة، والصربيون يشكلون (% من السكان). وكانت الرسائل المبثوثة بواسطة الـ (SOLO) تظهر السكان وقد اهتاجوا ضد سلطة رادوفان كارادتش (RADOVAN KARADZIC) ، وهي تشنه لصالح الموالي لأمريكا وهودي فاني لوكا (DE VANJA LUKA)(حيث كانت واشنطن تعده على رأس جمهورية صربسكا، بعد قلب نظام كارادتش. وتعود تلك الطائرة من جديد لتطير فوق يوغوسلافيا، أثناء حرب كوسوفو، لتبث نشرات باللغة الصربية الكرواتية، على ترددات إذاعية وتلفازية محلية. وعلى نحو مواز، ألقت طائرات منظمة حلف شمالي الأطلسي، حوالي مليوني منشور تدعو الصربيين ليثوروا ضد ميلوسوفيتش، مدعية أنه "المسؤول الوحيد" عن العواقب، وعن "الضربات الجوية"، وموضحة له لماذا كان القصف مشروعا ومبررا بالنسبة لأكبر عدد من الشعب الصربي، تأكيدا اعتقد على أنه مقنع قليلا، لدى المهتمين الذين يتعرضون للأذى نتيجة "لقنابل أكثر مما هم معرضون لأذى رئيسهم الذي انتخب ديموقراطيا[21] .

وتسير أفعال الخلايا المختلفة مثل الـ(الصقر ، أوسولو)، جنبا إلى جنب مع الخدمات المقدمة من قبل وكالات أمريكية خاصة، بالعلاقات العامة، أو الاتصالات، المكلفة، هي ذاتها بالترابط المباشر غالبا مع البنتاغون، من أجل العمل مع الصحافة، وقادة الرأي العام، والجماعات والدينية، والمسؤولين عن الروابط والجمعيات والمنظمات غير الحكومية، أو الإنسانية مثل الـ (HUMAN RIGHT WATCH)، حتى تسريب بعثات تحقق أو استقصاء من منظمة الأمن والتعاون الأوربي (OSCE) والـ (KVM) في كوسوفو، وكذلك منظمة الأمم المتحدة (UNSCOM) في العراق، والـ (MINUK) في كوسوفو...الخ .

ثالثا: وكالات الاتصال الخاصة

الحديث كثيرا، في الأوساط المتخصصة، أثناء حرب الخليج الثانية، عن شرطة أمريكية خاصة بالعلاقات العامة، مصنفة تحت اسم KNOWLTON HILL ، متخصصة في

---

[20] بيشو ديكلو، هل فرنسا في حالة حرب، جريدة الفيغارو الفرنسية،١٨ تموز ١٩٩٩.

[21] مجلة الحقائق ، عندما يفكك رصيف اورساي غرفة الحرب، ٢٢شباط ١٩٧٩، ص١٢ . نقلا عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) www.alhakaaik.net

صنع صور ذات طابع إيجابي أو سلبي لصالح الأنظمة الاستبدادية المقربة من الولايات المتحدة في العالم أجمع، والتي هي بحاجة قصوى إلى ترقية ديموقراطية – أو على حساب أنظمة مشنعة! العراق، السودان، ليبيا، صربيا... الخ، والملقبة على أنها المعاقبة والمجرمة، باسم المجتمع الدولي، والمجتمع الدولي من ذلك براء، لأن هذه هي إرادة الولايات المتحدة، في حرب الخليج الثانية خدمة لمصالحها، فقد اقترحت (Hill& Knowlton) تقديم خدمات للحكومة الكويتية. ويحتفظ في الذاكرة، ما قامت به من فضيحة (لحاضنات الأطفال) في مدينة الكويت، اتهم بها عراقيون، بأنهم قاموا بتفكيك الحاضنات قصدا ونقلها من دار توليد كويتية، لكننا نعلم فيما بعد أن الشركة (Hill and Knowlton) قد عملت مونتاجا تلفازيا في استوديوهات إنتاج أمريكية، مع تجنيد ممثلين، وأخذ مناظر الفيلم والسيناريو باختصار، بالضبط كما هو الحال لأي فيلم منتج في هوليوود. لكن، سيصبح ذلك الفيلم الأكذوبة مجالا لاتهامات خطيرة ، لكن ذلك الأمر تم كشفه في النهاية، بأنه أحد الأكاذيب المنتجة من قبل أحد أجهزة المخابرات الأمريكية[22] .

وبعد عدة سنوات، باعت شركة من الانموذج ذاته، تسمى RUDER FINN GLOBAL PUBLIC. متمركزة في واشنطن، ومتخصصة في نشر المعلومات و(الإقناع الفعال) والكذب، باعت خدماتها لكرواتيا اعتبارا من عام)، وإلى البوسنة منذ شهر أيار ( )، أخيرا إلى (جمهورية كوسوفو المقترحة) اعتبارا من تشرين أول ( )، وقامت بخدمات في مجالات التزوير بناء على طلب من كان يستخدمها. والحالة هذه تجد نفسها، وكأن الأمر صدفة، بأن الجماعات الإعلامية كانت تطير بالتعاقب لنجدة الكرواتيين والمسلمين والكوسوفيين. ولا يبدو من المحتمل كثيرا الافتراض أن هاتين الجمهورتين المولودتين من جديد، وتلك الثالثة، التي لم يكن لها وجود بعد شرعيا، والتي استطاعت تسوية فواتير (RUDER FINN). (هذا ما لاحظه الكاتب الضابط الفرنسي فلاديمير فولاكوف (VLADIMIR VOLKOFF مؤلف العديد من الكتب حول الاستعلام الستراتيجي للدولة سيما في العالم الأنكلو –ساكسوني، ولا يعني هذا أبدا، أن ذلك (المجال المحفوظ) لمصالح أو دوائر المخابرات ينجو من السياسات من سيطرة الدوائر الاستخبارية، بل على العكس، فإن وكالة (Hill& Knowlton)، مثلها مثل (RUDER FINN GLOBAL PURLIC AFFOPIRES)، تعمل على نحو وثيق بالتعاون مع وزارة الخارجية والجمعيات الكبرى التابعة لسلطة المجتمع الأمريكي، مثل (مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك وشيكاغو، مجلس الشؤون الدولية في سان فرانسيسكو، ومجموعة (BILDELBERG)، والأعمال

---

[22] المصدر السابق،ص١٢.

التنفيذية للأمن القومي، ومؤسسة روكفلر... الخ)، كل ذلك يخضع للسيطرة المباشرة للسلطة، لاسيما لوكالة المخابرات المركزية والإدارة المركزية (DIA)(وعلى علاقة بالبيت الأبيض مباشرة، ويسمح ذلك فقط بتوضيح كيف يمكن لشركة متواضعة ومحرومة حسب الظاهر من الوسائل الخاصة، والمعتمدة على تحليل من المستخدمين الثابتين، أن تتوصل، في آخر الأمر إلى التأثير على مجرى التاريخ، وذلك بالتأثير على وسائل الإعلام، وكذلك على الرأي العام . ويوضح جيمس هارف JAMES HARFF، مدير الشركة، أن مجموعة البطاقات، الأداة الأساسية، تشتمل على عدة مئات من "الأسماء الأساسية": لصحافيين، ورجال سياسية، وممثلين لجمعيات إنسانية، ونوادٍ، وجامعيين...الخ"، حيث يختار الحاسوب من علبة البطاقات، وحسب المواضيع المتقاطعة، الطريقة لإيجاد (الأهداف) الفعالة. ثم يقوم الفاكس بالخدمة بإرسال إعلام محدد، وفي وقت محدد، إلى جميع الأهداف المختارة داخل ((الجزء) المعالج. ويوضح هارف: "مهمتنا بث الإعلام والسرعة هي عنصر حاسم وما إن يصبح الإعلام جيدا بالنسبة لنا، يتوجب علينا ترسيخه فورا في أذهان الرأي العام لأننا نعلم على الوجه الأكمل، أن ذلك هو التأكيد الأول المعتبر، والتكذيبات أو الإنكار ليس لها أية فعالية " . وتتوصل (RUDER FINN) الممثلة لزغرب وساراييفو، حتى منتصف أيار ( ) إلى (العودة) (بفضل العمل الرائع للإعلام، إلى القادة السياسيين، ومجموعات الضغط والمنظمات الإنسانية أو جرى التأكيد في كوسوفو، منذ آذار ( ) ": (RUDER FINN) وضعت جميع اتصالاتها السياسية تحت تصرف(جماعة كوسوفو الديموقراطية) (LDK)(أثناء نقل بعثة من أربعة عشر عضو(من الكونغرس الأمريكي، جا(وا بمبادرة من جيمس هارف لمراقبة الانتخابات التي جرت بتاريخ ( ) والتي رتبت من قبل إبراهيم روغوفا. وبعد عدة أشهر ضمنت (RUDER FINN) الأداء لصالح جيش تحرير كوسوفو، كون الـ (UCK) المحادث الجديد المميز لوزارة الخارجية الأمريكية والبنتاغون. ولقد هنأت الـ (RUDER FINN) نفسها لأنها توصلت إلى العمل على تحرير أن الميليشيات الكرواتية والبوسنية، هي حيادية على نحو كا ((في البداية، وذلك في وثيقة موجهة لتضليل الزبائ الجدد– مدعيا لنفسه دور الأوستاسي آنت (OUSTACHIS DANTE) البالوفيت (PALEVIC)، المتعاونون مع العدو المرعبون المتحمسون للنازيين، أو فريق الـ(SS) من المسلمين الـ(HANDCHAR) من أجل (المقاومين) والصربيين، والشع ب الأوربية، كونهم قاوموا جيوش هتلر، وحموا آلاف اليهود أثناء الحرب، منهم مادلين أولبرايت، وكانت (ضربة

---

[23] وكالـة المخـابرات الأمريكيـة: شـبكة جامعـة لكـل الـشبكات، نقـلا عـن شـبكة المعلومـات العالميـة (الانترنـت) www.worldpolicy.org

[24] فيليب كوهين، هل ستشرع الولايات المتحدة بشراء العالم باجمعه ، مصدر سبق ذكره .

المعلم)، دون أدنى شك، المونتاج، على أولئك، الزاعمين بوجود معسكرات صربية للتطهير العرقي، حيث كانت، عقبة على المستوى الدولي، ذات تأثير وتألفت العملية استعادة الإعلان عن (معسكرات الموت) من قبل نيويورك نيوزداي، من أجل التأثير على المنظمات اليهودية والرأي العام. هذا ما وضحه جيمس هارف أثناء محادثة مع جاك ميرلينو (JACQUES MERLINO)(في حين يقول مدير فرانس التلفازية: " لقد خدعنا ثلاث منظمات يهودية كبرى: بناي بريت، المعادية لجماعة ديفاماسيون ANTI DEFAMATION LEAGE: واللجنة الأمريكية لليهود، والمؤتمر اليهودي الأمريكي[25]. : اقترحنا عليهم نشر بيان في النيويورك تايمز، من أجل تنظيم مظاهرة احتجاج أمام الأمم المتحدة جرى ذلك على نحو ممتاز، ودخل المنظمات اليهودية في رهان إلى جانب البوسنيين، وكان ذلك أمرا غير مألوف، واستطعنا فيما بعد إقناع الرأي العام ، بوجود توافق بين الصرب والنازيين وكانت المهمة معقدة لكن استطعنا وبضربة واحدة، تقديم عملية سهلة مع الجيدين والسيئين"[26]. ويقص جيمس هارف، في نشرته، بالتفصيل، كيف أنه قد توصل إلى أن يدير الرأي العام الأمريكي لشن موجة من الهلع الجماعي المعادي للصرب في الحال، كان هناك تغير في لهجة الصحافة، على نحو واضح، مع استخدام عبارات ذات قيم قوية انفعالية، مثل (التطهير العرقي معسكرات إبادة)... الخ. لقد أثارت قصة معسكر الإبادة حماس الرأي العام الأمريكي، وقد جرى سبر قامت به النيوزويك مسجلة تحولا ضخما: كان هناك : % ممن جرى سبرهم يؤيدون الضربات الجوية، قبل تلك القصة الكذبة، فارتفع إلى الـ% % يدعمون الضربات بعد تلك القصة. وأظهر استطلاع، قامت به مؤسسة غالوب GALLUP في الأول من آذار ( )، أن ثلثي الشعب الأمريكي يدعم التورط الأمريكي في البوسنة، حيث استطاعت (RUDER FINN)- وخلايا الـ (CIA) أن تبدل آراء (المجتمع المدني) الأمريكي[27].

وطبقا لما اعترفت به ميرا بيهام (MIRA BEHAM)– الصحافية الألمانية، أن الكثير من الجمعيات والمنظمات غير الحكومية المختلفة، والعاملة بتعاون وثيق مع (وكالات العلاقات العامة)، والتي كانت قد أُنشئت من أجل الدفاع عن المصالح البوسنية والكرواتية. من بينها الرابطة من أجل الشعوب المهددة، والتي أنشئت عام في غوتنغن (GOTTENGEN)، واعترف بها كمنظمة غير حكومية، مجهزة بوضع استشاري لدى منظمة الأمم المتحدة، ويقودها تلمان زولش TILMAN ZULCH منذ إنشائها، وهو يلتزم

---

[25] المصدر السابق.
[26] المصدر السابق.
[27] فيليب تايلور، قصف العقول، مصدر سبق ذكره. ص ٢٦ .
[28] جريدة الوموند الفرنسية، ٢٩ تموز ١٩٩٧ .

منذ زمن طويل بحملة معادية للصرب، ومؤلف كتاب(التطهير العرقي وأعمال الإبادة في سبيل الصرب الكبرى)، وهو مزود بميزانية تبلغ (.) مليون مارك ألماني، ويتركز النشاط الرئيس المنوط بهذه الرابطة حول استعادة القسم الأعظم من المعلومات حول خرق حقوق الإنسان المرتكبة من قبل الصربيين وحسب، ومن ثم نشرها في وكالات الصحافة، من بين المتعاونين المقربين مع المنظمة غير الحكومية، يوجد الصحفي روج غوتمان (ROJ GUTMAN)(حيث كانت المعلومات التي ينشرها تستخدم من قبل (RUDER FINN) في أغلب الأحيان، واستقبلت جادرنكا تيجلى (JADRANKA TIGELI)، وهي قومية كرواتية من البوسنة، من قبل محكمة العدل الدولية في لاهاي كشاهد(أخير، لم تتوقف الرابطة من أجل الشعوب المهددة، من تخويف الصحافيين الألمان الذين يحاولون إعلام السكان على نحو إيجابي، ومن ثم اتهامهم بفقدان ثقة السكان بهم، متجاهلة التصريحات العديدة من قبل السجناء القدامى في (BUCHENWALD) بالسكوت عن الدعاية المعادية للصرب والموالين للكروات والمسلمين من قبل الجمعيات غير الحكومية[29]. ويوجه المقربون من تلك الرابطة الاتهام بصورة منظمة إلى (الموالين للصرب). من الصحفيين الألمان النادرين الذين تجرؤوا على أن ينسبوا المانوية إلى (الصربي السيئ) ((جميع اللطفاء من أعدائهم) حتى لو كان الأمر يتعلق بشخصيات محترمة ، مثل رونات فلوتو (RENATE FLOTEN) من صحيفة دير شبيغل، وحجي هشت من (SUDDEUTSCHE ZEITUNO) .

ويمكن كذلك، أن نذكر دور الجمعية الإنسانية "العاملة من أجل السلام" والتي بعد أن عملت في المكسيك ونيكاراغوا، كأنها تشكل أحد الأجهزة المدنية من الوسط ألاستخباري الأمريكي، وإن جمعية العاملين من أجل السلام، هي في الواقع مختصة بـ "الدفاع عن الطريق المدني" حسب مفهوم "المقاومة باللاعنف" وهي المخرجة لأناس ووسائل إعلام[30]. كذلك، هنالك أمثلة كثيرة عن التزوير والتزييف والانتهاكات التي تنفذها وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية الأمريكية وأجهزة أخرى متعددة تحت أسماء عديدة، كلها تحت شعارات لا تمت للحقيقة بصلة، وفي أي مكان يكون للولايات المتحدة مصالح تستفيد منها. وهذا ما يؤكده احد الصحفيين. حيث يقول: "إن عملنا ليس التأكد من المعلومات وإننا لم نؤكد وجود معسكرات إبادة وموت في البوسنة، ولو علمنا أن الـ(NEWSDAY) قد أكدت ذلك، فنحن مهنيون. ولايدفع لنا لإعطاء دروس بالأخلاق أو التمسك بها فلدينا عمل يجب القيام به،

---

[29] المصدر السابق.
[30] هربرت. أ. شيللر، المتلاعبون بالعقول، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢ .

وقمنا به" . وهل يعترف المهنيون في (الاتصالات الستراتيجية) الذين يستخدمون حججا ومؤثرات أخلاقية، على الدوام، حتى الأخلاقيين، في سبيل التجريم، وإثارة الشفقة لدى الرأي العام المستهدف، أو خلق عدم الثقة لديه، فهل يعترفون أن تقنياتهم الدعائية، عديمة الأخلاق).

رابعا: حرب البيانات

من الثابت والمؤكد أن شيطنة العدو، من الأمور الثابتة في سياسة الولايات المتحدة فهي مخصصة لـ "تشنيع" كل معادٍ للولايات المتحدة. سواء اكانو أشخاصا أو الدول التي تسميها (منبـ ()) أو المارقة وقد كتب الأميرال لاكوست (LACOST). ففي مثل هذه الظروف من (حرب البيانات) والشيطنة الكلية للعدو الخاص للأمريكيين، حيث يجب دراسة الدعاية التي تستخدمها منظمة حلف شمالي الأطلسي والولايات المتحدة، واستخدم في حرب الخليج الثانية والبوسنة وفي كوسوفو وأماكن أخرى. والحالة هذه، يتضح أن هذه الدعاية تتمحور على نحو مطلق على مقارنة الأنظمة التي تحاول الوقوف في وجه الضحية الأمريكية ، وحتى شعوب تلك الأنظمة في مجملها بأنها (نازية). هذه هي الحال، فقد تصرف الناطق الرسمي لحلف شمالي الأطلسي باستمرار، بطريقة مشابهة لتصرف بيل كلنتون، ويقول إنها حرب صليبية ضد بلغراد، وكأن كلنتون هو (تشرشل) ضد (هتلر) وهو التصرف ذاته للرئيس الأمريكي جورج بوش الأبن عندما ضرب مركز التجارة العالمي حيث قال " إنها حرب صليبية جديدة " .

إن المعنى الحقيقي لـ (حرب البيانات)، هو اختلاق أو تزييف التفسيرات الذاتية للأحداث، أحيانا خداعة، ويكون هدفها، أن تجعل من هذا الطرف وكأ أعماله مشروعة، أو هذا السبب أم ذاك أمرا مقبولا، بإحداث تأثيرات لدى الرأي العام بشكل تجعله يتعاطف مع ما تقوم به، على الرغم من الأعمال الوحشية المرتكبة من قبل مدبري الأحداث ومرتكبي الفظائع. ويطلق فلاديمير فولكوف VLADIMIR VOLKOV القول: "ميلوسوفيتش هذا ليس قدحا من الشاي، لكنه ليس هتلر أيضا". ويجب إدانة الاغتصابات الرهيبة التي ارتكبت من قبل الجيش الصربي،لاسيما الميليشيات الصربية منذ عام ( )، لكنها مع ذلك، لم تكن أقل فظاعة من تلك التي ارتكبت من قبل المعسكرات الأخرى المتواجدة على الأرض نفسها. مع ذلك يتحمل الصربيون ونظام بلغراد جزءا كبيرا من المسؤولية في الكوارث التي حدثت في يوغوسلافيا السابقة منذ عام ( ) .

---

[31] **المصدر السابق، ص ٢٣ .**

[32] **بيير لاكوست، حادث الخميس، مصدر سبق ذكره.**

[33] **إدريس مقبول، المخفي والمعلن في الخطاب الأميركي، نقلا عن شبكة المعلومات العالمية (الانترنت) www.aljazeeea.net.**

- الأدوات الأساسية لحرب البيانات

- حرب الكلمات (توظيف اللغة):

ماذا ينتظر بالضبط من "حرب البيانات"؟ لقد اعتمدنا على التحديد المعطى من قبل العالم الجيوسياسي ايف لا كوست (YVES LACOSTE) من قبل، فبالنسبة له: تحليل البيانات المتعادية، هو أحد العناصر الأساسية للتقريب الجيوسياسي. ويوضح ذلك، أنه في زمن قدرة وسائل الإعلام على التأثير "فإنها نوع خاص جيوسياسي للمنافسات الإقليمية التي تجعل هدف البيانات المتناقضة اليوم منتشرة من قبل وسائل الإعلام بشكل واسع وباعتبار أن حرب البيانات حربا تستهدف عملية تبيان عالمي لمجموعات متخاصمة، فهي إذن مرتبطة حتما بما يسميه الآخرون "حرب الوسائل" (الحرب الإعلامية). لكنها أكثر من ذلك[34]. بقي لرأي آرنو أرون أوبنسكي ARNAUD AARON UPINSKY: "يتعلق الأمر، بحرب الكلمات، حرب اللغة، حرب المنطق إنها حرب علم الدلالة ويشك المع بمعنى الكلمات وبأنه لم يعد يعرف بما يفكر حقا، وبأنه يصبح عاجزا عن التعرف على العدو من مواطنه وتصبح أنظمته المناعية ملغاة بواسطة زدراع فيروس منطقي في لغته الخاصة، وفي عقله وفي هذه الحرب، فإننا لا نكافح ضد جيوش، بل ضد الكلمات ولنتذكر أن كل حرب، هي قبل كل شيء تعود إلى أرض البيانات، إذن فهي معالجات" . ويوضح أوبنتسكي أن هذا الطراز من الحرب، ليس جديدا، بحد ذاته، لأنه جرى تحليلها بتفصيل أكثر قبل ستة قرون من عصرنا، من قبل الستراتيجي الصيني (سان تزو SUN TZU). وإن ما هو جديد فهو الوسائل التقنية الموضوعة تحت تصرف السلطة، وتتضاعف أو تتزايد الوسائط الحديثة، وهي إما تجزئ أو تلغي البيان من واقع الرغبة . فالتكنولوجيات الجديدة الخاصة بالبيانات هي العربة والأداة الإلكترونية للـ "ديموقراطية بلا حدود"، للـ "نظرية في مجمل السياسات"، ومن التفجر المبرمج "للحدود" الموروثة من الماضي .

أما لوران مواروييك (LAURENT MURAWIEC)(حرب نفسية (حرب إعلامية) (INFOWAR) حرب التوجه CYBER GUERRE (حرب البيانات) فهي كذلك مفاهيم متقاربة، ومترابطة مدرجة فيما يسمى بـ(الحرب الإعلامية). فقد ولدت من ثورة تكنولوجية مثلثة: إلكترونية، معلوماتية، واتصالات بعيدة[35]. ولا تقوم الحرب الإعلامية إلا باسترجاع النجاحات القديمة للدعاية ثم جعلها أكثر فعالية، وكذلك التخريب والمعالجات الموصوفة منذ زمن سان تزو. وفي الظروف الراهنة، تتكون "حرب البيانات" أولا من

---

[34] **المصدر السابق.**
[35] **برنارد بيسون، إلى ذكاء أمريكا الاقتصادي، بلا ، ١٩٩٧ ، ص ٦٥ .**
[36] **المصدر السابق ،ص ٦٥ .**
[37] **جريدة الوموند الفرنسية، ٢٣ نيسان ١٩٩٩ .**

إضعاف معنويات الخصم أو العدو، وتحريف أو جعل اتصاله مع الواقعي منحرفا، وذلك بغرس الحقيقة–الكاذبة لديه، بيان كاذب يبدو "حقيقيا" وأكيدا حسب الظاهر، ومحققة ويتعذر دحضها، وتعيش من قبل المشاهد المذهول بـ"حقيقة" الصور، مباشرة. فالتقدم التكنولوجي، في المجالات الافتراضية التي ساهمت بشكل لا جدال فيه، في تحطيم الحدود بين الحقيقة والخيال، بحيث لم تكن التقنيات والمعالجات الجماعية تحت تصرف السلطة وخدمتها وكذلك الحروب، لم تكن مرعبة في الماضي، بمقدار ما هي عليه اليوم" حتى في المجتمعات المسماة بالديمقراطية .

البيضاء، التي يمكنها أن تشتمل على فتح الطريق أمام سيل من المعلومات المحظورة أمام سكان البلاد، في بلادهم، فقد لعبت الـ(BBC) وراديو أوربا الحرة، وراديو ليبرتي، هذا الدور، باتجاه البلدان الأوربية التي كانت تابعة للاتحاد السوفيتي السابق، وإلى الاتحاد السوفيتي نفسه مع ذلك، بقيت الإشاعات الكاذبة البيضاء الغربية موجهة نحو الكتلة الشيوعية السابقة، حتى بعد مرورفترة طويلة على سقوط جدار برلين. وتوجه خاصة إلى البلدان السلافية– الأرثوذكسية بلغاريا، يوغوسلافيا السابقة أو تلك الآسيوية ، روسيا البيضاء، روسيا، كوريا الشمالية ، فيتنام، الصين. تقوم إذاعة سوا بإيصال كمية كبيرة من المعلومات الكاذبة، أو الممنوعة، مباشرة إلى فئات الشعب . فالبلدان الصامدة أمام محاولات الهيمنة الغربية –الأمريكية، هي في حالة عجز مطلق وكلي لمقاومة تسريب المعلومات الهدامة للغاية، بفضل الأنترنت والأقمار الصناعية وشبكات الكابل – حسب المعنى المعطى من قبل عالم النفس الاجتماعي، روجر موكشييلي ROGER MUCCHIELLI– للأكاذيب البيضاء TELEMATIQUEIN الحديثة، من واقع خاصيتها بقدرتها على اجتياز الحدود، وعدم قابليتها للالتفاف عليها حسب متطلبات العولمة . إلى جانب ذلك، توجد الدعايات "السمراء" "السوداء"، فهذه تبرز على نحو أوضح من التخريب، وفي الخداع الصرف، ومن الغش. وإننا نجد مثل ذلك في التقنيات العتيقة "الأخبار الكاذبة". "لإشاعات المراوغة"، وكذلك "الحيل الحربية" الأخرى. فهل لم يستخدم أوليس (ULYSSE) الحيلة – للخداع في اليونان– عندما أعلن الحرب على الوحش متعدد الرؤوس (POLYPHEME) بأنه لم يعلن اسمه لأحد؟ فجن جنون الـ (POLYPHEME)((لتمس العون من نظرائه، دون جدوى، اللذين استخلصوا أن ما من أحد قد هاجم العملاق سيكل(((CYCLOPE) إذن، فقد جرى فق(العين الوحيدة، فمن جهة، أصيب بالعمى، من حيث البصر ومن حيث علم الدلالة، إذن صار

[38] وكالة ناسا: وكالة الأرقام الأمريكية، المؤسسة الامريكية لبحوث السياسة الخارجية، أيار ١٩٩٩ .
[39] فيليب تايلور، مصدر سبق ذكره، ص ٥٢ .
[40] جريدة الواشنطن تايمز، كيف تتجسس الولايات المتحدة على اوربا، ٣٠ نيسان ١٩٩٢ .

ضال الوجهة تماما، إذن تهاجم عمليات "الدعاية السوداء" "الوعي المكاني" لسكان ما "البيانات" الأساسية التي تزيِّف، ليس فقط عي الانتماء إلى ماعة ما وحسب، بل أيضا السمات النفسية والزمنية والرمزية الأساسية. من وجهة نظر علم السياسة فإنها تكتسي فائدة كبيرة، لأنها تهاجم عملية الاعتراف الشرعي، الواقع ذاته للسلطة، وإذن وسيلة التاريخ الإنساني.

وكما يوضح ذلك اللغوي الأمريكي المشهور، ناعوم تشومسكي NOAM CHOMSKY. بأن اختيار الكلمات، في نطاق (حرب البيانات) هو أساسي ، فعبارة المفاهيم المجردة والكلمات –الأساس، لها مستوى فهم قوي جدا عاطفيا و/أو أيديولوجيا، مثل: الحرية الحقيقة، حقوق الإنسان، النزعة الإنسانية، والديمقراطية، إبادة الجنس، عمليات التطهير العرقي، معسكرات الإبادة... الخ، يجب أن تكون مخففة الحدة، مضلِّلة، مخربة عمدا. أيضا، تعطي ميزات الخطابات الدعائية معنى مضاعفا من حيث العبارات، بشكل عام، وفي إجراء تعاكسات في علم الدلالة، المخصصة لتوجيه الأفكار واختيار قرارات مجموعة الأهداف، ونظامهم الدفاعي الثقافي والفهم لحقيقة الإفساد[41]. ويوضح تشومسكي، أنه إذا اختار المعنى الأول للكلمة –الأساس، هو ذلك المعنى تماما في القاموس، الآخر، (المعنى المتعلق بالعقيدة)، وله كوظيفة إحداث أو إثارة استيطان منع ضرورات الأيديولوجية –الأخلاقية، وإقامة علاقة أمر لا شعوري لغايات خدمة السلطة، "فخ"وا كلمة ديموقراطية، تبين لغويا، المعنى العقائدي للديموقراطية المخصص للنظام تتخذ فيه القرارات من قبل بعض القطاعات من جماعة العمل، ومن قبل النخبة التي ترتبط بهذه القطاعات. وللمواطنين الحق في تصديق القرارات المتخذة من قبل نخبهم، وفي منح دعمهم لهذا أم ذاك من أعضائهم". أما ما يتعلق بمفهوم الحرية، "في الممارسة العملية، كل تعبير يشتمل على كلمة "حر" لها حظ جيد أن يراد لها القول، عكس معناها الحقيقي، أو خذوا أيضا الدفاع ضد العدوان، تعبير مستخدم – كما لو كان يتوجب توقعه– من أجل الحديث عن عدوا– . ويتكون العمل الرئيس للأشكال المختلفة للدعاية، من تبرير المشروعات القهرية، وجعلها مشروعة – للتبريرات الأكثر وقاحة وذرائعية، وذلك بمنحها نعوتا وأسماء حاملة مسؤوليات كبيرة ورمزية وأخلاقية وحتى مثالية قابلة لأن تجلب التلاحم، وتضليل "أهداف الجماهير" بوسيلة التعاكس في علم الدلالة. ونعثر من جديد، في هذا الطراز من حرب البيانات على الجمل الكبرى الثلاث في قاموس أورويل (ORWELL): الحرب فهي السلام، والحرية هي العبودية، والجهل هو القوة، لأن حرب

---

[41] **جريدة الوموند الفرنسية، ٢٣ شباط ٢٠٠٠ .**
[42] **حميدة سميسم، مدخل الحرب النفسية ، درا الحرية للطباعة، بغداد، ٢٠٠٠، ص٢٢٥ .**
[43] **جون. لر.مكاثر، الجبهة الثانية؛التضليل الإعلامي في حرب الخليج ، ترجمة محمود برهوم ونقولا ناصر، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٩٩٣، ص ٩٦.**

"حرب البيانات"، تشتمل على التزييف، لا أكثر ولا أقل، وفي تصوير المعاكس بالضبط للحقيقة في نهاية الأمر، بهدف خدع الرأي العام والتلاعب فيه. وإن إعداد "قولبة التجريد من الأهلية" هو أحد الأهداف الرئيسة في هذه الحرب، ولنتفحص الآن كيف كانت قد استعملت القولبة والإشاعات والدعايات السوداء، وعمليات التحريض، والاتهامات، وتقنيات المعالجات "لمدروسة في علم النفس الاجتماعي، استخدمت بنجاح ضد العراق، وضد العنصر الصربي، على مدى الحرب الأهلية كلها في يوغوسلافيا السابقة. وفي كرواتيا والبوسنة حتى تلك الحرب في كوسوفو.

– قولبة الأخبار وعمليات مزجها :

تعني القولبة (STEREOTYPE). طبقاً لرأي كلود رينودي CLAUDE RAINAUDI المستشار في مجال "نفوذ الاتصالات" الأستاذ المساعد في جامعة نيس – صوفيا– أستيبو ليس، إذ يقول: " القولبة هي لفظ ينظر إليه من قبل جماعات ما كـ (مالك ثابت)، جماعات قومية، مهنية أو كيان اجتماعي. ويقوم بالمهمة، كافتراض ضمني) وسيكون كل ما يؤكده يحفظ في الذاكرة بسهولة، وسيكون كل ما يبطله مزال أثره غالباً" [44]. ففي بداية حرب الخليج الثانية، ليس لدى الرأي العام العالمي قولبة، عن العراق، ولا عن أعدائهم، وكان باستطاعة العراقيين، عندئذ أن يطلبوا من مكتب خاص بـ نفوذ "الإتصالات" لتعبئة موقفهم المثالي في مواجهة الولايات المتحدة والمتحالفين معها، وذلك بكشف الهدف الرئيس في تلك الحرب، وهو هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على منابع النفط في منطقة الخليج العربي، هذه المنطقة الستراتيجية الهامة، وكـ لك حصولها على الأموال الناتجة عن بيع النفط، بطرق مختلفة. لكن لرئاسات الأركان الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة، لديها أصول وخطط في مشروع محدد، تدمير العراق، وإعادته إلى الوراء، ومن ثم القضاء على المكاسب الستراتيجية والتقنية التي حققها في حربه مع إيران، وذلك باستخدام قولبة سلبية للعراقيين، من أجل الأهداف الستراتيجية الشاملة، باستخدام حرب البيانات، والعراق ليس لديه الوسائل المادية، ولا حتى لدعم الخارجي الضروري من أجل إعداد ردود بيانية وشيطنة أعدائهم الذين يواجههم .

إذن، فإن الخلايا الخاصة التابعة لوكالة المخابرات المركزية (CIA) ووكالة الاتصالات الأمريكية، والمنظمات غير الحكومية (ONG) بخلقها قولبة عراقية بأنها المساوية للعدو لإمارات النفط الخليجية، تقوم بإرساء الوعي في تلك المنطقة عن صورة (العراقي السيء) القابل للتبرير للكره الممكن، إذن كره لهؤلاء الأعداء، والحالة هذه، ما أن تترسخ القولبة، ثم تستبطن العمليات اللاحقة من الإشاعات والأخبار الكاذبة "والدعايات السوداء"

---

[44] للمزيد حول أسطورة الحرب النظيفة انظر: ميشيل كولون، احذروا الإعلام، ترجمة ناصرة السعدون، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد، ١٩٩٤ ، ص٥٥ وما بعدها.

الأخرى، المستهدفة تعزيز الإحساسات السلبية لهذا الهدف، بالاستفادة من التأثير الحاصل عن (القرائن الجرمية) المزيفة، عندها، يصبح تأثيرها إيجابيا، يمكن الاستفادة منه[45]. وهناك أيضا، أُخذت الاتهامات والأخبار الكاذبة، بطريقة مضحكة أحيانا، والتي كانت معالجة بظروف أخرى سخرية، أخذت بحرية من قبل القائمين على تلك الأفعال، وكأنها قد حدثت حقا، ومن ثم إصدار أحكام عقابية دولية استنادا إليها، كما جرى ليوغوسلافيا مثلا، وكذلك العراق والسودان وليبيا. ومن العجب أن مثل تلك الاتهامات المزيفة، هي من نبع الخيال، وكأنها من روايات بوليسية. وتأكد لدى ذوي الفطنة أن تلك الاتهامات لم تكن سوى إشاعات فظة، على طريقة أفلام "الويشيرن" الخادعة.

- شرعة المكيالين :

ما أن تستقر أعمال (القولبة) في الوعي واللاوعي الجماعي، وعندما تتشابك حركية الشيطنة، يأتي دور التصعيد الملازم لذلك الجور و(المقياس المزدوج) أو الكيل بمكيالين(وهنا نفهم الموضوع على نحو واضح. لماذا يجري سحق شعب العراق وإعادته إلى الوراء عشرات السنين، وقتل أطفاله وتجويعه وتشريده، والقيام بكل شيء لإذلاله، بمباركة ودعم القوى الأعظم وعلى رأسها الولايات المتحدة، تحت حجة غزو الكويت، في حين أن إسرائيل تمتلك ترسانة أسلحة جبارة، من الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية، زودتها بها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة هذه القوى الأعظم، وأن إسرائيل قام بأكثر من عدوان، واحتل أكثر من جزء في أكثر من بلد عربي، وتعتدي وتقتل شعبا بالكامل وتعتدي كل يوم على من يجاورها باستخدام أسلحة ممنوعة دوليا، ومن ثم يقف حق النقض الأمريكي وغيره في وجه كل إدانة له ولا تحاسب على أفعالها في قتل الأطفال والرجال والنساء، بل يجري الدفاع عن أفعالها وتصويرها على أنها حق مشروع لها ، لا بل بدعم هذه القوى الأعظم.

وهناك العديد من الأمثلة الواضحة عن الكيل بالمكيالين، وعلى الوجود "الانتقائي الإنساني، الستراتيجي". منها ستخدم الولايات المتحدة ممارسة القوة في المناطق الوحيدة عندما تقتضي ذلك مصالحها وتوجهها الستراتيجي، فالولايات المتحدة لم تبد أقل اهتمام مطلقا أما أعمال قمع بعض الشعوب والتدخل للدفاع عنها حيثما لا توجد مصلحة لواشنطن للتدخل فيها، في حين تستخدم الولايات المتحدة ومنظمة حلف شمالي الأطلسي ممارسة القوة في مناطق عندما تقتضي ذلك مصالحهم أو توجههم الستراتيجي.

خامسا: التضليل الإعلامي وسيكولوجية الإنكار والتبرير

---

[45] **حميدة سمسم، مدخل إلى الحرب النفسية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٣٠ .**

مثلما قادت الحرب إلى تطوير حاسم وهام في مفاهيم الستراتيجية العسكرية، فأنها على صعيد نظرية التعامل النفسي، أظهرت مفهوما جديدا يضاف إلى مفاهيمها السابقة وهو "التضليل الإعلامي" وبغض النظر عن وجهات النظر التي تعد هذا المفهوم أسلوبا من أساليب الحرب النفسية أو جزءا من مفهوم الحرب الإعلامية، فانه كمفهوم منفصل اخذ مكانته ضمن مستويات ظاهرة التعامل النفسي.

"والتضليل الإعلامي" كمفهوم عام يعني الكبت والتشويه والخداع وإخفاء الحقائق للتأثير في اتجاهات الرأي العام والقيادات العسكرية من خلال تضليلها للحقائق والوقائع، بأحدث فنون التسويق الدعائي والسياسي وتقنيات التعامل النفسي وباستخدام التكنولوجيا المتقدمة إعلاميا لتحقيق أهداف ستراتيجية معينة [46].

وإذا ما تأملنا تطبيقات هذا المفهوم،فإننا نجد عشرات الأمثلة التي طبقتها الإدارة الأمريكية بنجاح في الحروب التي خاضتها بدأ من الحرب الكورية وحتى وقتنا الراهن، فقد مارست الإدارة الأمريكية وحلفاؤها شتى ضروب الكذب والخداع والتعتيم، لتمرير أهدافها، وقد سقطت مع هذه الأساليب آخر دعاو . حرية الإعلام، وديمقراطية النظام الرأسمالي وأخلاقياته، حيث لم تتورع الإدارة الأمريكية عن ممارسة أبشع الوسائل وأشدها تجاه الرأي العام الأمريكي والأوربي بل الرأي العام الدولي برمته، وقد اتخذت هذه الأساليب عدة اتجاهات عامة منها:

:- تشويه صورة الخصم: وذلك بإتباع الخلط المتنوع من الكذب والخداع لتبرير شن العدوان أولا ثم لتنفيذ خطة التدمير الشامل ضد الخصم ، حيث يجمع المحللون والدارسون للإعلام إن وسائل الإعلام التي تسخرها الولايات المتحدة في الحرب تكرس لها أقصى الطاقات والإمكانات لتشويه الحقائق وإسباغ الشرعية والعدالة على حرب مدمرة وظالمة [47].

- أسطورة الحرب النظيفة: إن أسطورة الحرب النظيفة هي أسطورة ليست بالجديدة ، ففي فيتنام قالوا في البداية إنها ستكون معارك قصيرة، وان القصف كان جراحيا وسوف يتقلص عدد الضحايا إلى الحد الأدنى والضروري، وفي حرب الخليج الثانية أعيدت هذه الأسطورة من جديد، وكذا الحال في حرب البلقان، للدلالة على (إنسانية) قوات التحالف وكان ذلك من التقاليد الأمريكية السياسية والعسكرية في التضليل الإعلامي [48] .
- تبرير شرعية الحرب: مثلما كانت أسطورة الحرب القصيرة والنظيفة، قد قادت إلى خداع الرأي العام وتضليله فان البحث عن مبرر وشرعية لما يحدث في عدوان آثم، قد قاد الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الأب إلى إطلاق ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، والذي لا

---

[46] هربرت. أ. شيللر، المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة،الكويت، العدد ٢٤٣، آذار١٩٩٩، ص٢٠.

[47] ليندا. ل. دافيدوف، مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب وآخرون، دار ماتجروهيل، القاهرة ١٩٨٣، ص٦٢٦.

[48] المصدر السابق، ص٦٢٨ .

يعني سوى الهيمنة الأمريكية على العالم بعد انتهاء الحرب الباردة، وكان المطلوب من وراء هذا المشروع هو:

- تقديم الولايات المتحدة على إنها تمتلك الشرعية الدولية طبقا لذلك، وهذه الشرعية تمنح الولايات المتحدة الأمريكية حسب قول احد المسؤولين الأمريكان (بما أعطاها الله من ثروات وخبرات، حق إرشاد بقية العالم إلى السلام والاستقرار والعدالة الاجتماعية) .
- إن ما تقوم به من حروب إنما هو لخدمة مصالح معظم الدول من اجل السلام العالمي.وكان الهدف من وراء ذلك كسب الشرعية الدولية أمام الرأي العام العالمي لتبرير أي عدوان أو حرب.

لكي يؤدي التضليل الإعلامي دوره بفعالية أكبر، لا بد من إخفاء شواهد وجوده، أي إن التضليل يكون ناجحا عندما يشعر المضللون بأن الأشياء هي على ما هي عليه من الوجهة الطبيعية والحتمية، بإيجاز شديد نقول: (.ن التضليل الإعلامي يقتضي واقعا زائفا هو الإنكار المستمر لوجوده أصلا) ، ولو تأملنا جديا في فكرة التضليل الإعلامي لوجدناها قائمة أساسا على فكرة نفسية بالدرجة الأولى تستمد تطبيقاتها العملية من استخدام آليات الدفاع اللاشعورية عند الإنسان وبالتحديد ميكانزمي الإنكار والتبرير، وهما آليتان دفاعيتان يلجأ إليهما الفرد في مواقف يحتاجها لاعادة توازنه النفسي والشخصي، ولكن حولت هذه الفكرة وطبقت تطبيقا واسعا على الإعلام والتضليل الإعلامي. ويقوم عمل آليات (ميكانيزمات) الدفاع أساسا لدى الفرد لغرض تشويه وتزييف الواقع من خلال خلط الأفكار والخبرات والدوافع والصراعات التي تمثل تهديدا له، ويقوم مبدأ الإنكار على فكرة مؤداها أن الأفراد ينكرون الواقع ويتجاهلونه، أو يرفضون الاعتراف بوجود الخبرات غير السارة والتي يدركونها تماما وذلك لحماية أنفسهم، وتدخل دائما في عملية خداع الذات، الأفكار المختلفة غالبا، وتعد ستراتيجية الإنكار ستراتيجية شائعة لدى الإنسان، ونشاهدها بكثرة لدى الأطفال عندما يصر بعضهم على القيام بعمل غير مرغوب فيه، ويخافون عقاب آبائهم [49] .

أما آلية التبرير (ميكانيزم دفاعي) أيضا، وهي عملية إعطاء أسباب مقبولة اجتماعيا للسلوك بغرض إخفاء الحقيقة عن الذات، فمثلا يقول الولد لنفسه: (كان بإمكاني أن اجتاز هذا الامتحان لولا أن المدرس وضع تلك الأسئلة الصعبة) بدلا من الاعتراف بتقصيره في الاستعداد للامتحان. ويحدث التبرير أيضا حينما يخدع الناس أنفسهم بالتظاهر بأن

---

[49] محمد حمدي الحجار، أفلام العنف والسلوك العدواني، مجلة الثقافة النفسية، العدد ٣٨، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٥١

[50] نبيل فرج، الكتابة مهنة مقدسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٣.

[51] سلام خطاب الناصري، الإعلام والسياسة الخارجية الأمريكية، جروس برس، طرابلس، لبنان، ٢٠٠٠، ص ١٧٥ .

الموقف السيئ في الحقيقة موقف جيد، أو أن الموقف الجيد في الحقيقة سيئ، وكما يعتقد الشخص الفقير بأن الفقر نعمة وأن الثروة تجعل الإنسان بائسا .

فالإعلام عندما يستخدم التضليل، إنما يلجأ إلى آليات نفسية في التأثير على عقول الناس وقلب الحقائق كما هو الحال بإعطاء الفرضية التبريرية التي ترى أن الأفراد العدوانيين يرغبون في مشاهدة أفلام العنف. وذلك لأنهم يستطيعون اتخاذها كذريعة لتبرير سلوكهم العدواني بكونه سلوكا سويا بالمماثلة، وهذا الأمر يماثل عملية تبدل الموقف ولكن باتجاه معاكس .

إن حقيقة وسائل الإعلام هي جميعا وبلا استثناء تخضع لسياسات دول أو شركات تتلقى دخولها وتمويلها من مؤسسات متخصصة، توجهها نحو سياسة معينة، تستهدف الدول الأخرى تارة والمؤسسات الاجتماعية تارة أخرى، أو سياسة عالمية نحو قضية ما تتعلق بالوضع الدولي وستراتيجيات تلك الدول والمؤسسات، فهي لن تكون محايدة أو موضوعية إطلاقا، وان ادعت بشكلها الظاهري هذا الادعاء، ولكنها في الحقيقة على العكس تماما مما تدعي، فالنقد الموجه لسياسة دولة ما، إنما ينطوي بداخله على أبعاد ليست مرئية للعيان لدى الأفراد العاديين أو بالإمكان ملاحظة تلك الأبعاد بشكل مباشر، كما هو الحال عندما يزعم المضللون أن نظام التعليم بدءا من مرحلته الابتدائية وحتى مستوى الجامعة، يخلو تماما من أي غرض أيديولوجي مقصود، ومع ذلك فلا بد من أن يعكس الناتج النهائي للعملية التعليمية ما تم تعلمه ولكن في الحقيقة ليس المقصود في هذا النقد هو التعليم، بقدر ما هو أبعد من ذلك أي السياسة الموجهة نحو بلد بعينه. فاستهداف أية ظاهرة وتضليلها إنما المقصود من ذلك بعدا ستراتيجيا في السياسة.

وإذا كان تكنيك المضمون الإعلامي الأمريكي يقوم على إشاعة المعلومة الإعلامية المتنوعة وإغراق الدول بالمواد الإعلامية على اختلاف أنواعها بقصد التأثير في عقول الناس واختراقها ومن ثم السيطرة عليها فان فلسفة صناعة هذه المعلومة الإعلامية، وتسويقها يقوم على أساس قوانين الفكر الرأسمالي وانتهازيته القائمة على الفكرة البراغماتية " الغاية تبرر الوسيلة " وعقلية السوق والمصالح وتوظيف الإمكانيات الضخمة التي تمتلكها على صعيد تكنولوجيا الإعلام في أن تجعل من المضامين الدعائية التي تحملها وسائل الإعلام الأمريكية تعكس حقيقة التطور الفني والفكري للرسالة الإعلامية من خلال دراستها للخصائص العقلية والأنماط السلوكية التي تتسم بها سائر الشعوب والثقافات الإنسانية، في

---

[52] دوريس ايه كريبر، سلطة وسائط الإعلام في السياسة، ترجمة اسعد لبدة، دار البشير، عمان ١٩٩٩، ص ٣٦.

[53] المصدر السابق، ص ٣٧ .

[54] عواطف عبدالرحمن ،حرية الإعلام المعاصر وتحديات العولمة، نقلا عن شبكة المعلومات العالمية(الانترنت) www.islameiat.com/muslema/muslema

توظيف الصورة باعتبارها لغة الخطاب الإعلامي الجديدة التي تخاطب وتتوجه إلى العواطف والغرائز بالدرجة الأولى وذلك من اجل صياغة سلوك الإنسان تدريجيا وإيجاد البدائل الثقافية لأنماط السلوك والتفكير عند أبناء الدول المستهدفة وفي خلق تكوين بيئة الرأي العام في هذه لدول .

على الرغم من معارك التحرير التي خاضتها الدول ضد كل أشكال الاحتلال والتبعية، فقد كان الوعي يقظا بالقدر الذي يفرق فيه بين مقاومة الاحتلال والتبعية من جهة، وبين تقدير تراثه الإنساني العظيم من جهة مقابلة إلا أن الأداة الكبرى التي تستطيع أن تبين للعالم أحقية القضية في الدفاع والوجود والمحافظة على التراث غير فاعلة، تكاد تكون معطلة تماما، وهي الإعلام الذي يعد بحد ذاته سلاحا أقوى فتكا من أي أداة أخرى، سواء لإظهار قضية ما أو الرد على قضية أخرى. فالإعلام في عصرنا الحديث بات من ضرورات الحياة المعاصرة، وأن استخدامه في الدفاع عن الرأي والمعتقد وقضية الوجود هو أمر لا مفر منه. وان تخلفت هذه الأداة، فإن الكثير من الحقوق تتشوه صورها أو تفقد أحقيتها وربما تتحول إلى صورة أخرى غير الصورة الحقيقية، كما هي صورة الإرهاب التي ألصقتها وسائل الإعلام بجماعات دون غيرها خلال عقد التسعينات من القرن الماضي وحتى وقتنا الحاضر. تحويل حركات التحرر والمدافعين عن حقوق شعوبهم إلى إرهابيين، كما حدث للقضية الفلسطينية ورموزها وكما يحدث اليوم للقضية العراقية.

فالإعلام هو أداة للسياسة، وهو القادر على التأثير في عقول الناس واتجاهاتها حيث قال (ماك كويل) عالم الاجتماع المتخصص في الاتصالات الإعلامية: (نحن نستطيع تقصي بعض الظواهر على عدة مستويات –خصوصا– الرأي والمعتقد واللذين قد يكونان من أمور الرأي الفردي والتعبير الجماعي للمؤسسات والمجتمعات كذلك، ومن ناحية أخرى تتطلب منا دراسة تأثير وسائط لإعلام على الطريقة التي تعمل بها المؤسسات أن ننظر في العلاقات بين الناس الذين يقومون بأدوار مختلفة وفي تركيب تلك الأدوار ومضمونها، والسياسة مثال مناسب، حيث ربما أثرت وسائط الإعلام ليس على الآراء السياسية للفرد فحسب بل وعلى الطريقة التي تدار بها السياسة وعلى طريقة تنظيم نشاطاتها الرئيسة وربما تغيرت الأدوار السياسية) .

لذا فإن الإعلام أصبح في عالمنا اليوم أداة قوية للتأثير في عقول وسلوك الناس كأفراد أو مجموعات، سياسيين أو ناس عاديين، وأيضا أداة للتغيير عن بعد، لاسيما فيما

---

[55] عبد الستار جواد، اتجاهات تلاعلام الغربي، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٩٥، ص ٣٣ .
[56] صلاح الدين عامر، المقاومة الشعبية المسلحة في القانون العام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٤٢ .
[57] جمال المنسي، دراسات إعلامية: الدعاية السياسية خلال أزمة الخليج ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٣٢ .

يتعلق بالسياسة العامة لتلك الدولة بوساطة الإيحاءات الإعلامية باستخدام اللغة والبلاغة في الحديث أو التأويل الكلامي.

إن الرسالة التي تحملها وسائل الإعلام اليوم عبر قنواتها المتعددة والمختلفة الاتجاهات (إذاعة، تلفاز، سينما، مسرح، صحافة، إنترنت..) تتضمن أبعاد غير محسوسة وغير مباشرة لا يمكن تجاهل البعيدة وحتى القريبة (الآنية) أو التقليل من شأن هذه الوسائل، أو الابتعاد عنها، فهي أصبحت شر لا بد منه يدخل بيوتنا دون استئذان.

الخاتمة

لم تكن الحروب تقوم بمعزل عن الإعلام والدعاية والحرب النفسية، لحشد الرأي العام ورفع معنويات الجيوش، ومواجهة العدو وتحطيمه، وقد بقيت فنون الاتصال والإعلام على علاقة وثيقة بالحرب، ولكنها في هذا العصر الذي يتميز أساسا بالاتصالات والمعلوماتية تكاد تتحول برمتها إلى الإعلام والدعاية، والحرب في جوهرها تبادل منظم للعنف، والدعاية في جوهرها عملية إقناع منظمة، فإذا أمكن إقناع الخصم فلا حاجة للحرب العسكرية ابتداء.

والإعلام في الحرب يهدف إلى إقناع الناس بالقتال أو تأييده، أو إقناع الخصوم بترك القتال والاستسلام، فهو في جوهره عملية حربية، وقد كان التحرك العسكري الواسع في آسيا حلما يراود كثيرا من العسكريين الأمريكيين وشركات التصنيع العسكرية في الولايات المتحدة، ولكنه لم يكن يحظى بتأييد شعبي؛ بسبب الاتجاه الغالب في الولايات المتحدة إلى العزلة، وتخفيف التدخل في العالم، وتقليل النشاط العسكري الخارجي والانشغال بالرفاه والاقتصاد عن السياسة العالمية، وكانت أحداث (أيلول) فرصة لتيار التفرد بالهيمنة العالمية وشركات التصنيع لحشد الرأي العام، والتأييد الشعبي للمساعي الأمريكية نحو الهيمنة وعدم السماح –حتى للقوى الصديقة والمؤيدة مثل أوروبا– بالمنافسة أو المشاركة في القيادة العالمية، ومررت وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاغون) صفقة قيمتها مائتا بليون دولار مع شركة (لوكهيد) لتصنيع ثلاثة آلاف طائرة مقاتلة من طراز (إكس)).

وتبدو مقولة إنه ينبغي السماح للرأي بأن يتطور بشكل طبيعي دون أي تدخل خارجي وهما في الدول الديمقراطية، كما في الدكتاتورية، فالرأي العام ظل دائما توجهه، وتتدخل فيه آلة الحرب والعسكريون، وما نعرفه عن الدول في كثير من الأحيان –سواء ما

تبثه وسائل الإعلام أو الدراسات أو المناهج المدرسية– هو تعبير عن التوجهات الدفاعية، وفي كثير من الأحيان كانت الحرب الإعلامية بديلا للحرب العسكرية، وهذا ما حدث تماما في الحرب الباردة بين المعسكر الشيوعي والمعسكر الرأسمالي، فقد انتصرت الولايات المتحدة بالضربة القاضية، وانهار الاتحاد السوفييتي بدون حرب عسكرية، ولكن بفعل الدعاية والتأثير الإعلامي.

ويكاد التاريخ يكون دعاية، فقد أثبتت دراسة حديثة عن الكتب المدرسية في ألمانيا واليابان أن كتب التاريخ في هذين البلدين تقول عن الزمن الذي كتبت فيه أكثر مما تقوله عن الماضي، ولن يساور أحدا الشك بهذا الشأن فيما يتعلق بنظام كالنظام النازي الألماني أو النظام الستاليني، ولكن أيضا درجة الاختلاف في إعادة كتابة تاريخ روسيا الحديثة بعد انهيار الشيوعية أبقت على التلاعب بالحقيقة التاريخية، وإن نظرة على كتب التاريخ الأمريكي التي تتناول الخمسينات، أو على الكتب المؤلفة في بريطانيا في ذروة عصر الإمبراطورية تؤكد على الجانب الدعائي والتعبئة المستخدمة في صياغة الرأي العام والمناهج التدريسية.